

أضواء البيان

@ 177 @ .

وفي سورة الفاتحة { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } . . .

والقراءة الأخرى { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } . . .

في القراءتين معاً إشعار بالفرق بين ملك □ وملك العباد ، كالفرق بين الملك المطلق والملك النسبي ، إذ الملك النسبي لا يملك ، والملك المطلق ، فهو الملك القدوس ، والذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجع الخلائق كلهم . . .

ومن كانت هذه صفاته ، فهو المستحق لأن يعبد وحده سبحانه ، ولا يشرك معه أحد ، وهذا هو شعار العبد في الركن الخامس من أركان الإسلام ، حين يهله بالتلبية : إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . { إِيَّاهِ الذُّنُوبُ } . هذه هي المرتبة الثالثة في كمال العبودية ، وإفراد □ تعالى بالألوهية . . .

وهذا هو محل الإحالة ، التي عناها الشيخ رحمة □ تعالى علينا وعليه فيما يظهر ، لأن العبد إذا أقر بأن □ ربه وخالقه ، ومنعم عليه أوجده من العدم ، ورباه بالنعمة ، لا رب له سواه ، ثم تدرج بعلمه ويقينه إلى الإقرار بأن ربه هو مليكه والمتصرف في أمره وحده ، وأنه لا يملك هو نفسه مع □ شيئاً ، ولا يملك له أحد من □ شيئاً . . .

وأن كل تصرفات العالم كله بأمره فلا يصل إليه خير إلا بإذنه ، ولا يصرف عنه ضرر إلا بأمره . . .

وعرف في يقين : أنه عبد مملوك لمن بيده ملكوت السماوات والأرض ، توصل بعلمه هذا أن من كانت هذه صفاته ، كان هو وحده المستحق لإفراده بالعبادة وبالألوهية ، لا إله إلا هو . . . فيكون في خاتمة المصحف الشريف انتزاع الإقرار من العبد للآله سبحانه بطريق الإلزام ، بالمعنى الذي أرسل □ به رسله ، وأنزل من أجله كتبه ، وهو أن يعبد □ وحده ، وهو ما صرح الشيخ به في الإحالة السابقة . . .

وإذا كان الشيخ رحمه الله ، قد نبه على مراعاة خاتمة المصحف ، فإننا لو رجعنا إلى أول المصحف وآخره لوجدنا ربطاً بديعاً ، إذ تلك الصفات الثلاث في سورة الناس